"الخطاب النبوي برعاية أحوال المخاطبين،زوجا"(دراسة بلاغية تحليلية)

سميعة نازش*

Abstract

The speech is the expression created by the speaker, and the eloquent speech that is portrayed by the speaker under the auspices of situation's requirement, and affected the souls. Situation's requirement is an important rhetorical doctrine, it is the core of rhetoric and its essence, it is that the speech is appropriate to the situation. Situation is the set of things that surrounds and influences speech. It calls to speak on a specific cause, so that the speech has an extra peculiarity on the origin of the object. This peculiarity is the appropriate situation. The situation in the addressee is denial, and situation's requirement is the affirmation of speech. The Holy Prophet is the most fluent and eloquent among Arabs, One of the characteristics of his speech is auspices of addressing person's situation, whether a man or a woman. This research deals with his speech's style in dealing with his wives, who varied and differed in the place of mercy and affection, and in the place of friendship and affection, and in the place of entertainment, and in the place of education. This is all through the Ḥadith of Ṣaḥīḥ al-Bukhārī.

Keyword: Prophetic speech, auspices of the requirement of addressee's situation

مقدمة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد رسول الله العربي الأمي الكريم ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

فإن الخطاب هو التعبير الذي أنشأه المتكلم ، والخطاب البليغ هو الذي يصوّره المتكلم برعاية مقتضى الحال ويبلغ تأثيره إلى النفوس. ومقتضى الحال مذهب بلاغي ، يعد لب البلاغة وجوهرها ، وهو أن يكون الكلام – مع فصاحته – مناسبا للحال. والحال هي مجموعة الأمور التي تحيط بالكلام وتؤثِّر فيه، فتدعو إلى التكلم على وجه مخصوص، بحيث يكون للكلام خصوصية زائدة على أصل المراد، وهذه الخصوصية هي (مقتضى الحال)، فـ (الحال) في المخاطَب هي الإنكار، و (مقتضى الحال) هو تأكيد الكلام.

---

* أستاذة مساعدة بكلية اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد-

إن النبي الكريم أفصح العرب وأبلغهم. من خصائص حديثه رعاية حال من يخاطبه سواء أكان رجلا أم امرأة، فجاء اختياري لموضوع هذه الدراسة بعنوان: " الخطاب النبوي برعاية أحوال المخاطبين، زوجا– دراسة بلاغية تحليلية "

ويختص هذا البحث ببيان أساليبه في التعامل مع زوجاته التي تنوعت واختلفت في مقام الرحمة والعطف، وفي مقام المؤانسة والمودّة ، وفي مقام الترويح والترفيه ، وفي مقام التعليم والتربية برعاية أحوالهن. وذلك من خلال الأحاديث الواردة في صحيح البخاري.

رعاية أحوال المخاطبين:

إن المتكلّم والمخاطب والعلاقة بينهما من أهم عناصر الحال الذي يسمى المقام. وعني البلاغيون به من خلال العبارة المشهورة: لكل مقام مقال ، الذي ورد في بيت الحطيئة [1] يخاطب عمر بن الخطاب.[2]

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ اَلْمَلِيْكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا [3]

معناه: أحسِنْ إليَّ حتى أذكرك في كل مقام بحُسْن فعلك.[4]

وذهب بشر بن المعتمر[5] – فيما نقله عنه الجاحظ[6] – في صحيفته المشهورة (الرسالة) إلى أن: " مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال." [7]

---

[1] هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك، الشاعر المخضرم، كثير الهجاء، من فحول الشعراء، توفي٣٥هـ أو٤٥هـ. ينظر: تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي توفي٧٤٨هـ، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م)،٢: ١٨٦

[2] هو أبو حفص عمر بن الخطّاب القُرَشي العدوي، الملقب بالفاروق، ثاني الخفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي٢٣هـ. ينظر: الطبقات الكبرى: أبو عبدالله محمد بن سعد توفي٢٣٠هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م)،٣: ٢٠١. وتاريخ الإسلام:٢: ١٣٨

[3] ديوان الحطيئة ، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة،(بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية،ط١،١٩٩٣م)، ١٦٤

[4] مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري توفي٥١٨هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،(بيروت، لبنان: دار المعرفة،(ب.ت)،٢: ١٩٨

[5] هو العلامة أبو سهل بشْر بن المعْتَمِر الكوفي البغدادي، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، من الأصوليين الكبار، راوية للشعر والأخبار وشاعر، توفي٢١٠هـ. ينظر: تاريخ الإسلام:٥: ٤٠

[6] هو الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر البصري المعتزلي، العلامة، المتبحر، ذو الفنون، تصانيفه كثيرة جدا ومنها: البيان والتبيين، والبخلاء، وكتاب الحيوان وغيرها. توفي٢٥٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي توفي٧٤٨هـ،(القاهرة، دار الحديث:١٤٢٧هـ)،١١: ٥٢٧

وهو الأمر الذي يوضّحه الجاحظ بقوله: " وينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات."[8]

ونقل الجاحظ عن ابن المقفّع[9] قوله: " إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو..."[10]

وقد استمر المفهوم نفسه لمقولة " لكل مقام مقال " عند الخطيب القزويني[11] الذي ذهب إلى أن: "بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكيّ يباين خطاب الغبيّ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام." [12]

يعني أنّ لكل كلمة كالفعل مثلا مع صاحبتها كإن الشرطيّة مثلا مقام، وهو الشك في وقوعه، ليس هذا المقام للكلمة الأخرى، فمقام الفعل باقتران أداة الشرط (إن) يختلف عن مقامه مع أداة الشرط (إذا)، مقام (إن) يقتضي الشرط، ومقام (إذا) يقتضي التحقيق بحصول الشيء. تشترك أدوات الشرط (إن) و(إذا) في أصل المعنى وهو الشرط لكن تختلف من حيث المقام. وكذا لكل كلمة من أدوات الشرط مع الماضي مقام، ليس لها مع المضارع. ففي الماضي مقامها إظهار الوقوع وفي المضارع إظهار الاستمرار والتجدد. هكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام. وقد جعل القزويني " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " منبعا ومصدرا للبلاغة.

---

[7] البيان والتبيين: **الجاحظ**، تحقيق: المحامي فوزي عطوي،(بيروت: دار صعب، ط١، ١٩٦٨م)،١: ٨٦

[8] المرجع السابق:١: ١٣٨

[9] هو أبو محمد عبدالله روزبه بن داذويه المشتهر بلقب ابن المقفّع، أحد البلغاء والفصحاء، ورأس الكتّاب، وأولي الإنشاء، من أهل فارس، له مؤلفات كثيرة، توفي ١٤٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء:٦: ٣٣٢

[10] البيان والتبيين:١: ١١٦

[11] هو قاضي القضاة محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني، أشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، والإيضاح في شرح التلخيص. توفي ٧٣٩هـ. ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفديّ توفي ٧٦٤هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،(بيروت: دار إحياء التراث،١٤٢٠هـ)،١٨: ٢٤٠

[12] الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين الخطيب القزويني توفي٧٣٩هـ،(بيروت: دار إحياء العلوم، ط٤،١٩٩٨م)،١٣

والحال هو: " الأمر الداعي للمتكلّم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وهو مقتضى الحال ، مثلا كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضى الحال، وقولك: إن زيدًا في الدار مؤكدًا بأن الكلام مطابق لمقتضى الحال." [13]

رعاية النبي الكريم أحوال زوجاته:

إن مدار البلاغة على رعاية الكلام لمقتضى الحال ، ورعاية حال المخاطَب هو عنصر أهم في إنشاء الخطاب البليغ. وكان النبي الكريم أبلغ العرب وأفصحهم لسانًا ، وأوضحهم بيانًا، وأعذبهم نطقًا، وأعرفهم بمواقع الخطاب. فله عناية كبيرة بمعرفة أحوال المخاطبين. يلحظ في خطابه ε لهم ما يدل على رعايته لطبيعتهم.

لم يكن خطاب النبي الكريم للرجال فقط ، بل يخاطب النساء ويخصهن بالحديث برعاية أحوالهن. كان حريصا على أن يعامل رجال أمته زوجاتهم بمثل ما يعامل به زوجاته. في خطابه الخاص بزوجاته كان مراعيا أحوالهن من خلال زمن التخاطب ومكانه. ورد في الأحاديث النبوية من ذلك ما يؤكد هذه الرعاية في خطاباته المتنوعة وفقا لمقتضى الحال، ومنها:

أ- مراعاة أحوالهن في مقام الرحمة والعطف:

في حديث عائشة رضي الله عنها[14]، قالت:

خَرَجْنَا لَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ فَلَمَّا كُنَّا بِسَرِفَ حِضْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا أَبْكِي قَالَ: (مَا لَكِ؟ أَنُفِسْتِ؟) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: (إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ).[15]

---

[13] شروح التلخيص: (مجموعة شروح التلخيص يشتمل على خمسة كتب: في صلب المجموعة ثلاثة كتب وهي على الترتيب: مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي. وفي الهامش كتابين، وهما على الترتيب: الإيضاح للخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح، وحاشية الدسوقي على الشرح المختصر للسعد التفتازاني)، (بيروت، لبنان:دار الكتب العلمية, ب.ت)،١: ١٢٢ – ١٢٣

[14] هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، تزوجها النبي بمكة، لم يتزوج بكرًا غيرها، وقد كانت أعلم الناس، توفيت٥٨هـ وقيل:٥٧هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٨: ٤٦ –٤٧

[15] صحيح البخاري: كتاب: **الحيض**، باب: الأَمْرِ بِالنِّسَاءِ إِذَا نُفِسْن، حديث:٢٩٤، باب: تَقْضِي الْحَائِضُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا إِلَّا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، حديث:٣٠٥، كتاب: **الأضاحي**، باب: الْأُضْحِيَّةِ لِلْمُسَافِرِ وَالنِّسَاءِ، حديث:٥٥٤٨، باب: مَنْ ذَبَحَ ضَحِيَّةَ غَيْرِهِ، حديث:٥٥٥٩

في هذا الحديث كان سؤال النبي الكريم: (مَا لَكِ؟ أَنُفِسْتِ؟) أي: حضت، بما يناسب حالها لأنها ظنّت أن الحيض يمنع الحج فبكت، فاستفهم بهمزة الاستفهام لطلب التصديق عن الثبوت أو الانتفاء، وفي رواية: (لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟)[16] بصورة الترجي توقعاً لحصول الأمر، فأجابت عائشة رضي الله عنها بنعم، فقال لها رسول الله ﷺ: (إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ) ، في رواية: (فَإِنَّ ذَلِكِ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ)[17] مؤكداً بـ(إنّ)، (هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ) [18] بتعبير جملة اسمية — وهي من المؤكّدات – فجاء بهذه الأساليب مؤكّداً مراعاة حال المخاطبة ليسليها ويعطف عليها ويواسيها عند بكائها ويراعي حالتها النفسية.

في حديث أنس[19]**، قال:**

كَانَ النَّبِيُّ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ [20] فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ فِلَقَ [21] الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: (غَارَتْ أُمُّكُمْ) ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ.[22]

سياق الحديث يبيّن أنه لم يعاتب زوجته على ذلك الفعل، بل قال: (غَارَتْ أُمُّكُمْ)، ولم يزد عليه، ولم يؤاخذ هذه الغيرة بما يصدر منها. التعبير بهذه الجملة وما وراءها من إجلال النبي الكريم وإعظامه يقتضي الصفح والتسامح عما بدا منها من الغيرة، ثم ما في الإضافة من التحنن والتودد في التعبير المعدول بضمير المفرد إلى التعبير

---

[16] صحيح البخاري: كتاب: **الحيض**، باب: تَقْضِي الْحَائِضُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا إِلَّا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، حديث:٣٠٥

[17] صحيح البخاري: كتاب: **الحيض**، باب: تَقْضِي الْحَائِضُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا إِلَّا الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، حديث:٣٠٥

[18] صحيح البخاري: كتاب: **الأضاحي**، باب: مَنْ ذَبَحَ ضَحِيَّةَ غَيْرِهِ، حديث:٥٥٥٩

[19] هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، خدم رسول ﷺ عشر سنين. توفي ٩٢هـ أو٩٣هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٧: ٣٢

[20] الصحفة: إناء كالقصعة، والجمع الصِحاف. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ت نحو ٧٧٠هـ،(بيروت: المكتبة العلمية،ب.ت، مادة: ص ح ف.

[21] فلق، جمع الفِلْقَة من الشّيء –: القطعة منه. جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي،(بيروت: دار العلم للملايين، ط١،١٩٨٧م)، مادة: ف ل ق.

[22] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: الغَيْرَةِ، حديث:٥٢٢٥، كتاب: المظالم، باب: إِذَا كَسَرَ قَصْعَةً أَوْ شَيْئًا لِغَيْرِهِ، حديث: ٢٤٨١

بضمير الجمع لمقتضى الحال. وفي هذا العدول قال الإمام الطيبي[23]: " الخطاب عام لكل من سمع بهذه القضية من المؤمنين، اعتذاراً منه لئلا يحملوا صنيعها علي ما يذم. " [24]

في حديث هشام بن عروة رضي الله عنهما[25]، قال:

كانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عائِشَةَ قالَتْ عائِشَةُ: فاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سلَمَةَ[26] فقُلْنَ: يَا أُمَّ سلَمَةَ وَاللهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عائِشَةَ وإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كما تُرِيدُهُ عائِشَةُ فَمُرِي رسُولَ اللهِ أَنْ يأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْحيْثُ مَا دَارَ. قالَتْ: فذَكَرَتْ ذالِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ قالَتْ: فأَعْرَضَ عَنِّي فلَمَّا عادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فأَعْرَضَ عَنِّي فلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: (يَا أُمَّ سلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عائِشَةَ فإِنَّهُ وَاللهِ مَا نزَلَ علَيَّ الوَحْيُ وأَنَا فِي لِحافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غيْرَهَا).[27]

سياق الحديث يشير إلى غيرة نساء النبي الكريم على قضية إهداء الناس إليه يوم عائشة رضي الله عنها، وإعراضه عنهن في مقام الرفق، لم يؤاخذهن ولم يعاتبهن على هذا بل اختار السكوت، وعندما أم سلمة رضي الله عنها على هذا الطلب أن يهدي الناس الهدايا إليه حيث كان من بيوت نسائه فاكتفى على هذا التوجيه: (يَا أُمَّ سلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عائِشَةَ فإِنَّهُ وَاللهِ مَا نزَلَ علَيَّ الوَحْيُ وأَنَا فِي لِحافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غيْرَهَا) لما أذية من كلامها نهاها بصيغة النهي الصريحة (لاَ تُؤْذِينِي) عن الأذى في حق عائشة رضي الله عنها، ثم أكد النبي لأم سلمة رضي الله عنها الخبر بـ(إنّ)، وضمير الشأن في (إنّه)، والقسم (والله) ليقرر فضل عائشة رضي الله عنها في نفسها. وفي رواية: (لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ، إِلَّا عَائِشَةَ)[28] ، هنا أكد بأسلوب الاستثناء من

---

[23] هو حسين بن محمد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة وحاشية الكشاف وغيرهما توفي ٧٤٣هـ.
ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان،(حيدر آباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٢هـ)،٢: ١٨٦

[24] شرح الطّيبي على مشكاة المصابيح :العلامة شرف الدين الطيبي، تحقيق: الدكتور عبدالحميد الهنداوي،(الرياض، مكة المكرمة، السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١،١٩٩٧م)، ٧: ٢١٨٩

[25] هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، أبو المنذر، كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث حجّة، توفي١٤٦هـ أو ١٤٥هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٥: ٣٧٥

[26] هي أم سلمة اسمها هند بنت أبي أمية، تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، جرح في غزوة أحد فمات، وبعده تزوّجها رسول الله، توفيت٥٩هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٨: ٦٩

[27] صحيح البخاري: كتاب: **فضائل أصحاب النبي**، باب: فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث:٣٧٧٥

[28] صحيح البخاري: كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: مَنْ أَهْدَى إِلَى صَاحِبِهِ وَتَحَرَّى بَعْضَ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ، حديث: ٢٥٨١، ٢٥٨٠، باب: قَبُولِ الهَدِيَّةِ، حديث:٢٥٧٤

النفي لكونه في مقام إنكار على أم سلمة رضي الله عنها في أمر لا يتعلق بالعدل بين النساء، وبيّن فضل عائشة رضي الله عنها دفاعًا عنها ليؤكد تفرّدها بما لم يبلغنه من فضل.

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ[29] وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ[30] أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ فَلْتَقُلْ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ [31]، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: (لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ) فَنَزَلَتْ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ .. ﴾ إلى ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ..﴾[32]، لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ،﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ..﴾، لِقَوْلِهِ (بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا). [33]

في هذا الموقف قوله: (لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ)، يفيد أنه لم يكتُم ما سألت نساؤه، فيه بحذف همزة الاستفهام: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فسؤال بلا أداة كأنه خبر متحقق لإشعاره برائحتها، ولم يكتف على نفي أكل المغافير بـ(لَا)، بل صدق وصرّح أصل القضية بصيغة الماضي لدلالة تحققها، وزاد بحلف على عدم الرجوع لشرب العسل، وفي رواية زيادة، قال: (لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا).[34] لعلّه قصد بهذا النهي أن لا ينكسر خاطر زوجته التي شرب العسل عندها.

---

[29] هي زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين، بنت عمة النبي، كانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي ε فطلّقها وتزوجها رسول الله، توفيت٢٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٨: ٩٠— ٨٠

[30] هي حفصة بنت عمر بن الخطّابِ أم المؤمنين، وكانت تحت خنيس بن حذافة، شهد بدرا وتوفي، فتزوّجها رسول الله، توفيت٤١هـ أو٤٥هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٨: ٦٥

[31] مغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط حُلو، غير أَن رائحته ليست بطيّبة... وهو حلو يؤكل، واحدها مُغْفور. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري توفي٣٧٠هـ،تحقيق: محمد عوض مرعب،(بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط١، ٢٠٠١م)، مادة: غ ف ر.

[32] التحريم:٤

[33] صحيح البخاري: كتاب: **الطلاق**، باب: لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ، حديث:٥٢٦٧، كتاب: **الأيمان والنذور**، باب: إِذَا حَرَّمَ طَعَامَهُ، حديث:٦٦٩١

[34] صحيح البخاري: كتاب: **تفسير القرآن**، باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ التحريم، حديث:٤٩١٢

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالْحُلْوَاءَ وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَغِرْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً [35] مِنْ عَسَلٍ، فَسَقَتْ النَّبِيَّ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ [36]: إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ فَإِذَا دَنَا مِنْكِ فَقُولِي: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: لَا، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ [37]، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ [38] ذَاكِ، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: (لَا) قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ قَالَ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: (لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ) قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي.[39]

في هذا السياق أيضًا وردت قصة شرب النبي الكريم العسل، لكن هنا شرب العسل عند حفصة رضي الله عنها. والجمع بين الحديثين باختلاف المكان أنه لم يغضب على تظاهر الغيرة الطبيعية، بل قصد بترك العسل لأجل رضاهن، فلما سألت حفصة رضي الله عنها: أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ بأداة تحضيض (ألا) لترغيبه في طلب العسل، فأجاب: (لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ)، فإن النبي الكريم عدل عن قول: لا أشربه أو لن أشربه، إلى نفي الحاجة مراعاة حال المخاطبة لئلا يخجلها.

---

[35] عكّة: هي آنِيَةُ السَّمْنِ وجمعها (عُكَكٌ) و (عِكَاكٌ). مختار الصحاح:زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي توفي ٦٦٦هـ ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد،(بيروت: المكتبة العصرية،الدار النموذجية، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، مادة: ع ك ك.

[36] هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة القرشية، تزوجها رسول الله بمكة بعد موت خديجة، وكانت قبل ذلك تحت ابن عم لها، توفيت٢٣هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٨: ٤٢، وتاريخ الإسلام:٢: ١٦٠

[37] العُرْفُط: شجرة قصيرة متدانية الأغصان ذات شوك كثير. تهذيب اللغة: مادة: ع ر ف ط.

[38] هي صفية بنت حُيَيٍّ أم المؤمنين، تزوجها سلام القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع فقتل عنها يوم خيبر. سباها رسول الله أعتقها ثم تزوجها توفيت٥٠هـ أو٣٦هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٨: ٩٥

[39] صحيح البخاري: كتاب: **الطلاق**، باب: لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ، حديث:٥٢٦٨، كتاب: **الحيل**، باب: مَا يُكْرَهُ مِنْ الِاحْتِيَالِ فِي الْبُيُوعِ وَلَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ فَضْلُ الْكَلَإِ، حديث:٦٩٧٢، كتاب: النكاح، باب: دُخُولِ الرَّجُلِ عَلَى نِسَائِهِ فِي الْيَوْمِ، حديث:٥٢١٦

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ:(كَيْفَ تِيكُمْ؟)..... إلخ. [40]

سياق الحديث في حادثة الإفك — والإفك هو البهتان والزور والافتراء — وفيه اتهمت عائشة رضي الله عنها في عرضها. فإن النبي الكريم يسمع عنها ما يكره لكنه لا يهجرها ولا يطلّقها ولا يكلّمها عن أي شيء ولا ينتقصها أثناء المشكلة، بل يقلّل اللطف بها حينما يزورها في مرضها ليقف على حالها ويطمئنّ على صحتها، حيث يقول: (كَيْفَ تِيكُمْ؟)، لا يقول: كيف حالكِ؟، أو كيف أنتِ؟ بل يعدل عنه إلى (تيكم) – فهي: " اسم إشارة للمؤنث مثل ذاكم للمذكر في موضع(هذه) " [41] – لعلّه اختار هذا الأسلوب لتستشعر منه بعض الجفاء فتسأل عن سببه فتزيله.

في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[42]، قال:

لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ[43] عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ..﴾[44]، فَحَجَجْتُ مَعَه، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ [45]، فَتَبَرَّزَ[46] حَتَّى جَاءَ

---

[40] صحيح البخاري: كتاب: **الشهادات**، باب: تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا، حديث:٢٦٦١، كتاب: المغازي، باب: حَديث الإفك، حديث:٤١٤١، كتاب: **تفسير القرآن**، باب: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ... ﴾ سورة يوسف، حديث:٤٦٩٠، باب: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ إلى ﴿ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ النور، حديث:٤٧٥٠، باب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ... وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، حديث:٤٧٥٧

[41] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،(بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م)، مادة: ت ا.

[42] هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن، توفي٦٨هـ أو ٧٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٢: ٢٧٩ — ٢٨٤

فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ..﴾ [47]، فَقَالَ: وَا عَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ. ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ فَقَالَ:... ، وَكَانَ قَدْ قَالَ: (مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا) مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَبَدَأَ بِهَا فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، أَعُدُّهَا عَدًّا. فَقَالَ النَّبِيُّ ε: (الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ) وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ [48] فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: (إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ) قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا... فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [49]) قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ. [50]

---

[43] هو أَبو حفص عمر بن الخطّاب القُرَشي العدوي، الملقب بالفاروق، ثاني الخفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي٢٣هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٣: ٢٠١، وتاريخ الإسلام:٢: ١٣٨

[44] التحريم:٤

[45] هو إناء صغير من جلد يُتخذ للماء، وجمعها أداوى. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير توفي:٦٠٦هـ ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي،(بيروت: المكتبة العلمية،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)،١: ٣٦

[46] أي: خرج إلى البراز للحاجة... والبراز: الفَضاء الواسع. الصحاح: مادة : ب ر ز.

[47] التحريم:٤

[48] إشارة إلى الأحزاب:٢٨ — ٢٩

[49] الأحزاب:٢٨ — ٢٩

[50] صحيح البخاري: كتاب:**المظالم**، باب: الْغُرْفَةِ وَالعلِيَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا،حديث:٢٤٦٨، كتاب:**العلم**، باب: التَّنَاوُبِ فِي العلمِ، حديث:٨٩، كتاب: **تفسير القرآن**، باب: قَوْلِهِ ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ الأحزاب، حديث:٤٧٨٦، كتاب: **اللباس**، باب: مَا كَانَ النَّبِيُّ يَتَجَوَّزُ مِنْ اللِّبَاسِ وَالْبُسْطِ، حديث:٥٨٤٣، كتاب: **تفسير القرآن**، باب: ﴿ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ.﴾ ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ التحريم، حديث:٤٩١٣، كتاب: النكاح، باب: مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، حديث:٥١٩١، كتاب: **النكاح**، باب: هِجْرَةِ النَّبِيِّ نِسَاءَهُ فِي غَيْرِ بُيُوتِهِنَّ، حديث:٥٢٠٣

سياق الحديث في حسن عشرة النبي الكريم لأزواجه بما يدلّ على تكافؤ وتكامل أخلاقه حيث تظاهر نساؤه عليه – في بعض الروايات، سأل ابن عبّاس رضي الله عنهما عمر بن الخطاب: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَنْ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ فَمَا أَتْمَمْتُ كَلَامِي حَتَّى قَالَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ [51] يغاضبنه فيقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا، لم يضربهن، ولم يقل لهن أي لفظ بالتوبيخ أو بالتعنيف غضبًا بل يهجرهن لأجله شهرًا، ثم يدخل بعد هذه المدة عليهن، وفي بعض الروايات: فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ آلَيْتَ شَهْرًا، فَقَالَ:(إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ) [52]، ثم يخيّرهن بين الدنيا والآخرة ويبدأ بعائشة رضي الله عنها قائلًا: (إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ)، قوله بصيغة النهي (لَا تَعْجَلِي) مقيّد بقوله (حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ) يدلّ على لطفه، وفي رواية: (لَا تَسْتَعْجِلِي) [53]، من باب استفعال الذي يفيد الطلب ، وهنا يقصد بطلب عدم عجلة في مقام الرفق. فجاء بعدم اهتمامه بإغلاظ القول مراعاة حالتها النفسية في مقام الشفقة لها.

---

[51] صحيح البخاري: كتاب: **تفسير القرآن**، باب: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ التحريم، حديث:٤٩١٤، باب: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ... ﴾ التحريم، حديث:٤٩١٥، باب: ﴿ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ ...قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ سورة التحريم، حديث:٤٩١٣، كتاب: النكاح، باب: مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، حديث:٥١٩١

[52] صحيح البخاري: ك الصلاة، باب: الصَّلَاةِ فِي السُّطُوحِ وَالْمِنْبَرِ وَالْخَشَبِ، حديث:٣٧٨، كتاب: الصوم، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ: (إِذَا رَأَيْتُمْ الْهِلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا)، حديث:١٩١٠، ١٩١١، كتاب: **المظالم**، باب: الْغُرْفَةِ وَالعليَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، حديث:٢٤٦٩، كتاب: **النكاح**، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ النساء، حديث:٥٢٠١، باب: هِجْرَةِ النَّبِيِّ نِسَاءَهُ فِي غَيْرِ بُيُوتِهِنَّ، حديث:٥٢٠٢، كتاب: **الطلاق**، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة، حديث:٥٢٨٩، كتاب: الأيمان والنذور، باب: مَنْ حَلَفَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَهْلِهِ شَهْرًا وَكَانَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، حديث:٦٦٨٤

[53] صحيح البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب: قَوْلُهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الأحزاب، حديث:٤٧٨٥

ب- رعاية أحوالهن في مقام المؤانسة والمودّة:

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى) قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: (أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ) قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.[54]

كان النبي الكريم يراعي مشاعر زوجاته ويعرف مواطن أحاسيسهن عند الغضب والرضا كما خاطب هنا مؤكدا بإن ولام التأكيد. ويفهم نفسيتهن كما يفهم بقول عائشة بحرف نفي (لا) – وقعت جوابًا عن كلام سابق – وبالقسم: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، أنها راضية، وبقولها: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، أنها غاضبة. وهي تعبّر بالقسم والقصر: " مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ " إظهارًا لقوة حبها له، وأنها لا تهجر إلا اسمه.

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، قَالَتْ الْأُولَى:... وقَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زَرْعٍ؟..... قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ). [55]

سياق الحديث في حسن معاملته مع زوجته ، أنه يجلس معها ويؤانسها بالمحادثة وبإعلام محبته، ويستمع القصة الطويلة بالإصغاء ويصرّح حبه قائلًا: (كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ)، بتشبيه حاله لها كحال أبي زرع لأم زرع في حبها ووفائها وإكرامها، لا في كل شيء حيث طلّق أبو زرع أم زرع. فيه مراعاة لأحوالها.

في رواية عبد الله بن كعب بن مالك[56]، قال:

سَمِعْتُ أَبِي كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ غَيْرَ غَزْوَتَيْنِ غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ وَغَزْوَةِ بَدْرٍ، قَالَ:... فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الْآخِرُ مِنْ اللَّيْلِ

---

[54] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ، حديث:٥٢٢٨، كتاب: **الأدب**، باب: مَا يَجُوزُ مِنْ الْهِجْرَانِ لِمَنْ عَصَى، حديث:٦٠٧٨

[55] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ، حديث:٥١٨٩

[56] هو عبد الله بن كعب بن مالك السلمي الأنصاري المدني، من قراء الأنصار، كان ثقة، وله أحاديث، توفي٩٨ أو ٩٧ هـ. ينظر: التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله الإمام البخاري ت٢٥٦هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان،(حيدر آباد، الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ب.ت)،٥: ١٧٨

وَرَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ)، قَالَتْ: أَفَلَا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرُهُ؟ قَالَ: (إِذًا يَحْطِمَكُمْ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ)... إلخ.[57]

سياق الحديث في قصة الثلاثة الذين تيب عليهم عندما تخلّفوا عن غزوة تبوك فأنزل الله توبتهم على النبي الكريم، وهو عند أم سلمة رضي الله عنها فأخبرها بذلك، فقصدت أن ترسل هذه البشرى إلى كعب، فقال النبي الكريم لها: (إِذًا يَحْطِمَكُمْ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ)، التعبير بـ(إذا) — ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط — فيه لإشعار المخاطبة عدم الانزعاج والاضطراب عليها.

في حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا: (يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ)، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ.[58]

من صور ملاطفة النبي الكريم أنه ينادي عائشة رضي الله عنها: (يَا عَائِشَ)، بأحب الأسماء إليها، أو بتصغير اسمها للتمليح، أو بترخيمه يعني تسهيله وتليينه. كل هذا كان في مقام التلطّف والمؤانسة والمودّة.

رعاية أحوالهن في مقام الترويح والترفيه:

- **وفي رواية:**

وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ وَإِمَّا قَالَ: (تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟)، فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: (دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ) حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: (حَسْبُكِ؟) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: (فَاذْهَبِي).[59]

قول النبي الكريم: (تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟) بحذف أداة الاستفهام يظهر بصورة الخبر لعلّه يدرك حرص عائشة رضي الله عنها ورغبتها في النظر إلى اللعب. ثم قيامه معها وخدها على خده، ثم حثه على السودان أي الحبشة على اللعب بقوله: (دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ) باسم فعل أمر(دونكم) بمعنى: الزموه، وبنداءه (يا بني أرفدة)

---

[57] صحيح البخاري: كتاب: **تفسير القرآن**، باب: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ... ﴾ التوبة، حديث:٤٦٧٧

[58] صحيح البخاري: كتاب: **فضائل أصحاب النبي**، باب: فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث:٣٧٦٨، كتاب: **الأدب**، باب: مَنْ دَعَا صَاحِبَهُ فَنَقَّصَ مِنْ اسْمِهِ حَرْفًا، حديث:٦٢٠١

[59] صحيح البخاري: كتاب: **العيدين**، باب: الْحِرَابِ وَالدَّرَقِ يَوْمَ الْعِيدِ، حديث:٩٥٠، كتاب: **الجهاد والسير**، باب: الدَّرَقِ، حديث:٢٩٠٧

بلقبهم إظهارًا لطفه لاستمرار اللعب، ثم قوله لعائشة رضي الله عنها: (حَسْبُكِ؟) بحذف أداة الاستفهام، كأنه خبر يحصل، لكونه يشعرها بملها وتعبها، أي: لم يتعب النبي الكريم حتى تسأم هي، كما في بعض الروايات: حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ.[60] كل هذا يدلّ على أنه كان يراعي مشاعر زوجاته ويؤانسهن ويروّحهن.

- **في حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت:**

دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ [61]، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ[62]، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ؟، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:(دَعْهُمَا)، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا.[63]

في هذا الموقف لما كانت جاريتان تغنّيان عند عائشة رضي الله عنها بغناء بعاث – هو أشعار من فخر أو هجاء ونحوه – وفي رواية: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ[64]، وَعِنْدَهَا قَيْنَتَانِ[65]، فدخل النبي الكريم، واضطجع، وحوّل وجهه، ولم يقل شيئًا. فزجر أبو بكر عائشة رضي الله عنها. لكن قول النبي الكريم لأبي بكر: (دَعْهُمَا) بصيغة الأمر، يؤكد السماح بسماع هذا الغناء، وفي رواية: (يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا)[66]، (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ)[67]، (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ

---

[60] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْحَبَشِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ، حديث:٥٢٣٦، باب: حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ، حديث:٥١٩٠

[61] يوم بعاث يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج. ينظر: تاريخ الإسلام:١: ٦٤٩

[62] اسمه عبد الله بن أبي قحافة ، أول من أسلم من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين ، توفي سنة ثلاث عشرة، ودفن في حجرة عائشة ورأسه بين كتفي رسول الله. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر توفي٤٦٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي،(بيروت: دار الجيل، ط١،١٤١٢هـ)،٤: ١٦١٤

[63] صحيح البخاري: كتاب: **العيدين**، باب: الحِرَابِ وَالدَّرَقِ يَوْمَ العِيدِ، حديث:٩٤٩، كتاب: **الجهاد والسير**، باب: الدَّرَقِ، حديث:٢٩٠٦

[64] صحيح البخاري: كتاب: العيدين، باب: سُنَّةِ الْعِيدَيْنِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ،حديث:٩٥٢. في قولها (وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ) قال القاضي عياض: ليستا ممن يغنى بما جرت به عادة المغنيات من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش والتشبيب بأهل الجمال مما يحرك النفوس، ويبعث الهوى والغزل. إكمال المعلم بفوائد المسلم: أبو الفضل القاضي عياض، تحقيق:د. يحيى إسماعيل،(المنصورة: دار الوفاء، ط١،١٩٩٨م)،٣: ٣٠٦

[65] صحيح البخاري: كتاب: **مناقب الأنصار**، باب: مَقْدَمِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةَ، حديث:٣٩٣١

[66] صحيح البخاري: كتاب: **العيدين**، باب: سُنَّةِ الْعِيدَيْنِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، حديث:٩٥٢

عِيدٍ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى)[68]، بعدّة أساليب: أسلوب النداء، وأسلوب الأمر والخبر التوكيدي التي تفيد أنه تلطّف لإظهار الإقرار لهذا الغناء ببيان العلّة، ولم يغضب على الجاريتين ولا عائشة رضي الله عنها، بل تركهن في الغناء لتأخذن الراحة والسرور بسماع الغناء في يوم العيد.

في رواية ، قالت عائشة رضي الله عنها:

أَنَّهَا زَفَّتْ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: (يَا عَائِشَةُ! مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمْ اللَّهْوُ).[69] في هذه المناسبة السارّة، أقرّ النبي الكريم بأسلوب الإنشاء والخبر اللهو المباح، أي: الدف والغناء، وأكده إشاعةً للسرور، وترويحًا للنفوس.

رعاية أحوالهن في مقام التعليم والتربية:

- **في حديث عائشة رضي الله عنها:**

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ فَاسْتَأْذَنَتْهُ عَائِشَةُ فَأَذِنَ لَهَا، وَسَأَلَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَسْتَأْذِنَ لَهَا فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ أَمَرَتْ بِبِنَاءٍ، فَبُنِيَ لَهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا صَلَّى انْصَرَفَ إِلَى بِنَائِهِ فَبَصُرَ بِالْأَبْنِيَةِ، فَقَالَ: (مَا هَذَا؟) قَالُوا: بِنَاءُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَزَيْنَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (أَالْبِرَّ أَرَدْنَ بِهَذَا؟ مَا أَنَا بِمُعْتَكِفٍ)، فَرَجَعَ فَلَمَّا أَفْطَرَ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّالٍ.[70]

يظهر بسياق الحديث أن عائشة رضي الله عنها استأذن النبي الكريم للاعتكاف فأذن لها، لكن عندما انصرف بعد الصلاة فرأى ثلاثة أخبية لعائشة وحفصة وزينب رضي الله عنهن، فقال: (أَالْبِرَّ أَرَدْنَ بِهَذَا؟)، في رواية: (أَالْبِرَّ تَقُولُونَ بِهِنَّ؟) [71]، (أَلْبِرَّ تُرَوْنَ بِهِنَّ؟)[72]، (مَا حَمَلَهُنَّ عَلَى هَذَا؟ آلْبِرُّ؟ انْزِعُوهَا فَلَا أَرَاهَا)[73]، في كل الروايات قوله بأسلوب الاستفهام يفيد الإنكار لفعلهن لا لاعتكافهن، فرسول الله قصد بهذا الإنكار حثًا لترغيبهن في العبادة بالإخلاص ، بحسب مقتضى الحال.

---

[67] صحيح البخاري: كتاب: **مناقب الأنصار**، باب: مَقْدَمِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةَ، حديث: ٣٩٣١

[68] صحيح البخاري: كتاب: **العيدين**، باب: إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ وَمَنْ كَانَ فِي الْبُيُوتِ وَالْقُرَى، حديث:٩٨٧، كتاب: **المناقب**، باب: قِصَّةِ الْحَبَشِ وَقَوْلِ النَّبِيِّ: (يَا بَنِي أَرْفِدَةَ)، حديث:٣٥٢٩

[69] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: النِّسْوَةِ اللَّاتِي يَهْدِينَ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَدُعَائِهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، حديث:٥١٦٢

[70] صحيح البخاري: كتاب: **الاعتكاف**، باب: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ يَخْرُجَ، حديث:٢٠٤٥

[71] صحيح البخاري: كتاب: **الاعتكاف**، باب: الْأَخْبِيَةِ فِي الْمَسْجِدِ، لحديث:٢٠٣٤

[72] صحيح البخاري: كتاب: **الاعتكاف**، باب: اعْتِكَافِ النِّسَاءِ، حديث:٢٠٣٣

[73] صحيح البخاري: كتاب: **الاعتكاف**، باب: الِاعْتِكَافِ فِي شَوَّالٍ، حديث:٢٠٤١

في حديث عروة بن الزبير:[74]

أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ، قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ).[75]

في هذا السياق النبي الكريم يربّي عائشة رضي الله عنها إلى معاملة الرفق وحسن القول لما لعنت اليهود بقولها: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ – السام: معناه الموت – وفي بعض الروايات: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ[76]، بسبب قولهم فيما لحنوا كأنهم يلقون السلام، فسمعت عائشة رضي الله عنها فلم تتمالك نفسها من الغضب، لكن النبي الكريم لم يعجب ذلك منها، فقال لها: (مَهْلًا يَا عَائِشَةُ) بالمصدر النائب عن فعل الأمر، حذف الفعل (أمهلي) وذكر المصدر لزيادة تأكيد الأمر بمعنى: تأني وترفقي، ثم زاد بقوله المؤكد: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ)، إشعارًا للمخاطبة أن الله يحب لين الجانب في القول والفعل. وفصلت هذه الجملة عن الجملة التي قبلها لكمال الاتصال بينهما، فالثانية مؤكدة للأولى. وهذا الفصل يدلّ على إنكار النبي الكريم وكراهيته وغضبه.

وفي بعض الروايات، قال: (مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ)[77]، أي: أمهلي مهلًا، وارفقي، وابتعدي عن العنف، هنا أسماء الفعل (عَلَيْكِ، إيَّاكِ) في سياق غرابة الأمر ومخالفته للطبيعة. ثم علّمها رسول الله كيف يكون الردّ، فقال: (قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ)، هكذا حث رسول الله عائشة رضي الله عنها بهذه الأساليب على حسن الخلق والرفق في مقام التعليم والتربية ، حسب مقتضى الحال.

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ مَنْ هَذَا؟) قُلْتُ: أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ. قَالَ: (يَا عَائِشَةُ انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ[78]).[79]

---

[74] هو عروة بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، كان ثقة كثير الحديث فقيها عاليا مأمونا ثبتا، وكان من أفاضل أهل المدينة وعلمائهم، توفي٩٤هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:٥: ١٣٦–١٣٩

[75] صحيح البخاري: كتاب: **الأدب**، باب: الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، حديث:٦٠٢٤، كتاب: **الاستئذان**، باب: كَيْفَ يُرَدُّ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ السَّلاَمُ، حديث:٦٢٥٦

[76] صحيح البخاري: كتاب: **الأدب**، باب: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، حديث:٦٠٣٠، كتاب: الدعوات، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ: (يُسْتَجَابُ لَنَا فِي اليَهُودِ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا)، حديث:٦٤٠١

[77] صحيح البخاري: كتاب: الأدب، باب: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، حديث:٦٠٣٠، كتاب: **الدعوات**، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ: (يُسْتَجَابُ لَنَا فِي اليَهُودِ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا)، حديث:٦٤٠١

[78] المجاعة من: جاع، يجوع، جَوعاً وجَوعةً ومَجاعةً. الصحاح: مادة: ج و ع.

استفهام النبي الكريم: (يَا عَائِشَةُ مَنْ هَذَا؟)، ففيه غيرة الزوج على زوجته، فقد أنكر على هذا الرجل الأجنبي بالكراهية التي ظهرت على وجهه، كما في الرواية: فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ.[80] ثم قال لها: (انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ)، فتنبّهها بصيغة الأمر إنكارًا على الأخوة التي لا تحلّ بها الخلوة، ونصح للتأمل بالتحقيق في أمر الرضاعة هل هو الرضاع صحيح بشرطه، ثم اختار أسلوب القصر بـ(إِنَّمَا) لتصحيح ظنها، وأكدها أن الرضاعة من المجاعة، أي: من الجوع – هي الرضاعة التي تقع بها الحرمة هي ما كان في الصغر[81] – قصد أسلوب القصر لها بمراعاة حاجة النفس إلى التعليم والتربية، بحسب مقتضى الحال.

في حديث أم سلمة رضي الله عنها:

أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ، فَقَالَ الْمُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ: (لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ).[82]

في هذا السياق يمنع النبي الكريم دخول المخنّث على النساء بقوله: (لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ)، وفي بعض الروايات: (لَا يَدْخُلَنَّ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ) [83]، بصيغة النهي المؤكد بالنون الثقيلة، صيغة النهي هنا للغائب، أي: لا يدخلن هؤلاء المخنثون عليكن، ولم يقل بصيغة الخطاب: (لا تُدخلن)، لعلّه التفت من الخطاب إلى الغيبة ليكون الكلام قاعدة عامة لعموم المخنثين، ولو جاء بصيغة الخطاب لكان النهي خاصًا للمخاطبات. والله أعلم. وفي رواية: (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ)[84]،هنا خاطب بصيغة الأمر تأكيدًا وحثًا على إخراجهم من البيوت ، حتى يكون الكلام مطابقاً للحال.

وسبب هذا النهي والإخراج ما روي في الحديث من وصف النساء ومحاسنهن وعوراتهن بحضرة الرجال.

---

[79] صحيح البخاري: كتاب:**الشهادات**، باب: الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ وَالرَّضَاعِ الْمُسْتَفِيضِ وَالْمَوْتِ الْقَدِيمِ،حديث:٢٦٤٧

[80] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: مَنْ قَالَ: لاَ رَضَاعَ بَعْدَ حَوْلَيْنِ، حديث:٥١٠٢

[81] معناه: أن الرضاعة التي تقع بها الحرمة هي ما كان في الصغر، والرضيع طفل يقوته اللبن ويسد جوعه، وأما ما كان منه بعد ذلك في الحال التي لا تسد جوعه اللبن ولا يشبعه إلاّ الخبز واللحم وما في معناهما من الثقل، فلا حرمة له." ينظر: معالم السنن شرح سنن أبي داود: أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي ت٣٨٨هـ،(حلب: المطبعة العلمية، ط١،١٩٣٢م)،٣: ١٨٥

[82] صحيح البخاري: كتاب: **النكاح**، باب: مَا يُنْهَى مِنْ دُخُولِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْمَرْأَةِ، حديث:٥٢٣٥

[83] صحيح البخاري: كتاب: **المغازي**، باب: غَزْوَةِ الطَّائِفِ، حديث:٤٣٢٤، كتاب:**اللباس**، باب: إِخْرَاجِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنْ الْبُيُوتِ، حديث:٥٨٨٧

[84] صحيح البخاري: كتاب: **اللباس**، باب: إِخْرَاجِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنْ الْبُيُوتِ، حديث:٥٨٨٦، كتاب: **المحاربين من أهل الكفر والردة**، باب: نَفْيِ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْمُخَنَّثِينَ، حديث:٦٨٣٤

في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فِي مَرَضِهِ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ)، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا.[85]

قوله: (مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ[86])، بصيغة اسم الفعل الدال على الأمر (مه)، زجرًا في مقام الإنكار لفعل عائشة رضي الله عنها وحفصة رضي الله عنها، لعلّه شدّد بهذا الزجر بعد تكرارهن ، ثم شبّهن بصواحب يوسف. وفي هذا مراعاة لأحوالهن ومطابقة للخطاب مع ما في واقعهن من السلوك الأخلاقي الذي قصد بخطابه أن يقوم على أساس إنكار فعلهن. تلك هي الأحوال التي راعى فيها المتكلّم حال المخاطبات ، وخاطبهم بالحديث مطابقا للحال مناسبا للمقام مصيبا للهدف واقعا من نفس السامع أحسن موقع.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الممتعة يصل البحث إلى غايته ، ويتضح أن لغة الخطاب النبوي في غاية البيان ، وعلى درجة كبيرة من الفصاحة. خطابه مثال رائع لمراعاة الحالة النفسية للمخاطب عند الكلام باختيار التعبير الملائم لذلك. فيلحظ رعاية النبي الكريم في خطابه لأحوال زوجاته والعوامل المؤثرة فيها ، وقد ظهر ذلك في اختيار الألفاظ والعبارات والمعاني والأساليب الملائمة لحالهن.

---

[85] صحيح البخاري: كتاب: **الأذان**، باب: أَهْلُ العلمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، حديث:٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٢، باب: حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ، حديث:٦٦٤، باب: مَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ تَكْبِيرَ الْإِمَامِ، حديث:٧١٢، باب: الرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِالْإِمَامِ وَيَأْتَمُّ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ، حديث:٧١٣، باب: إِذَا بَكَى الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ، حديث:٧١٦، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ سورة يوسف، حديث:٣٣٨٤، ٣٣٨٥، كتاب: **الاعتصام بالكتاب والسنة**، باب: صَلَاةِ اللَّيْلِ، حديث: ٧٣٠

[86] وصواحب يوسف يحتمل أنهن النسوة اللاتي قطعن أيديهن أي صديقات امرأة العزيز، أو امرأة العزيز وحدها. " ووجه الشبه بينهن: فى التظاهر على ما يردن، وكثرة ترددهن بالإغراء، وإلحاحهن على حاجاتهن وما يملْنَ إليه، كتظاهر امرأة العزيز ونسائها على يوسف ليصرفنه عن رأيه فى الاستعصام." إكمال المعلم بفوائد مسلم:٢: ٣٣٤